إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة السابعة ـ العدد الخامس والعشرون ـ ربيع ١٣٩٦ش / آذار ٢٠١٧م
صص ٧٤ ـ ٤٥

# ملامح الثورة والمقاومة فى شعر أبوالقاسم لاهوتى

**على گنجيان خنارى(الكاتب المسؤول)***
**ثريا رحيمى****

## الملخص

يعتبر أبوالقاسم لاهوتى شاعرا رائدا فى الأدب الفارسى وشعره كرواية تاريخية تروى لقارئها ما جرت لإيران فى عصره. فهو شاعر عظيم يعرف مسؤولية الشاعر فى المجتمع، وأهمية الشعر وتأثيره فى قلوب الناس جاهدا إلى استنهاضهم أمام الاستبداد، ويصبّ أفكاره التحررية والإصلاحية فى قوالب شعرية عذبة، ويدعو الناس إلى المقاومة أمام الظلم والفساد. تهدف هذه الدراسة من خلال إيراد نماذج من أشعار لاهوتى، إلى التعريف بشاعر كبير له فى تاريخ الأدب الحديث فى إيران صفحات حَرِية بالبحث والدراسة. تناول هذا المقال مضامين الثورة والمقاومة فى شعر لاهوتى وفقاً للمنهج الوصفى التحليلى، وقد توصل إلى أن أبرز هذه المفاهيم فى شعره هو: الحرية، الذود عن الوطن، نقد الجهاز الحكومى، ذم الإستعمار، نقد الجهل والغفلة فى الشعب واستلهام الأمجاد، مبينا أنه شاعر ملتزم يبعث الحماس فى مشاهد القتال والنضال فى البلد متعاضداً مع المحاربين لتحقيق الحرية والمساواة ومن جانب آخر، أكد على أن نزعات لاهوتى الحزبية وخضوعه للحزب الشيوعى، وكذلك الروح العسكرية المستولية عليه وحضوره فى ساحات القتال، هما مجريان قد أدّيا إلى تحويل شعره إلى شعر رسالى ثوروى للدعوة إلى الثورة.

**الكلمات الدليلية:** التفاوت الطبقى، المقاومة، الثورة، الحزب الشيوعى، إيران، لاهوتى.

---

*. أستاذ مشارك فى اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائى، طهران، إيران
Pajuhesh1392@yahoo.com

**. طالبة مرحلة الدكتوراه فى اللغة العربية وآدابها بجامعة تربيت مدرس، طهران، إيران
تاريخ الاستلام: ١٣٩٥/٢/١٨ش تاريخ القبول: ١٣٩٥/١/١٧ش

**المقدمة**

إن أدب المقاومة هو أدب الوعى والتضحية للذود عن الهوية والوطن ويسعى لإثارة أحاسيس الناس واستنهاضهم ودعوتهم إلى دفع الذل والخنوع والاستسلام لظلم الظالمين وللضعف والفقر والجهل، ويحاول تفجير الطاقات الإيجابية لمواجهة الظلم والعدوان، وهو الوقوف فى وجه الظلم سواء كان مصدره داخليا أم خارجيا.

وأما أصحاب فكرة الأدب الرسالى، فيقولون إن حياتنا اليوم مليئة بالأحداث والوقائع فى كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فأصبح من واجب الأدب أن يتناول هذه الحياة وهذه الأحداث فيها.

ويصح أن يقال إن الأمة التى تكثر لديها الثورات و الأزمات هى أمة مصابة بحالة مرضية تحتاج إلى أطباء يشخصون أمراضها ويعالجون أدواءها. والأطباء هنا هم طائفة الكتاب والشعراء الذين يشاركون وجدانياً فى حوادث الأمة وأزماتها ومتاعبها، فهم قادرون، بما فطروا عليه من أحاسيس ومشاعر أكثر من غيرهم، على أن يشخصوا للأمة بلاءها ومرضها، وهم قادرون على أن يعالجوا هذا الداء، ويرسموا طريق النجاة والخلاص.

تأثر الشعراء فى إيران أيام لاهوتى، أو قل تأثر كثير منهم، بأحداث وطنهم السياسية وتياراتها الضخمة التى ألحت على الناس جميعاً. ولقد تأثر لاهوتى أيضاً بأحوال إيران هذه ولا سيما السياسية منها تأثراً كبيراً، فانغمس فى كثير مما كان يجرى فيه انغماساً نرى أبعاده بوضوح فى شعره فلم يترك لاهوتى هذه الأحداث تمرّ دون أن يكون له رأى فيها ، أو اجتهاد، أو تفسير وعندما يتقدم الباحث إلى دراسة شعر لاهوتى ليتبين صورة العصر فيه أو ليجمع الملامح النفسية للشاعر يجد أن شعره مرآة صافية صادقة تعكس روح العصر بوضوح، وتصور الشاعر فى مختلف أطوار حياته تصويراً دقيقاً أميناً.

أمّا الدراسة هذه فقد جاءت فى بضعة فروع بدأت بإيراد نبذة عن حياة الشاعر، إذ من المهم قبل الدخول فى ذكر مضامين الثورة والمقاومة التى أنشدها لاهوتى، استعراض حياة الشاعر، حيث اتصل الكثير من أفكاره وبعض جوانب آرائه بحياته وما لابستها من الظروف، فدراسة شعره لا يمكن أن تستقيم ما لم نلم بظروف أحاطت بحياته وهى

أمور تلقی أضواء کاشفة علی شعره. ثم تناول البحث بالتحلیل مضامین الثورة والمقاومة فی شعر لاهوتی مع إیراد نماذج من شعره فی هذا المجال.

تهدف هذه الدراسة من خلال إیراد نماذج من أشعار "ابوالقاسم لاهوتی" ودراسة مضمون الثورة والمقاومة فی شعره، إلی التعریف بشاعر کبیر له فی تاریخ الأدب الحدیث فی إیران صفحات حریة بالبحث والدراسة، ومع الأسف کأنه کان قسماً منسیاً فی أدب عصره بسبب الظروف السیاسیة التی کانت قد ألقت بظلالها علی حیاته، وکذلک نشاطاته السیاسیة المناوئة للحکومة التی أدت إلی هذا الإهمال المتعمد لذکره.

**خلفیة البحث**

فیما یتعلق بسوابق البحث، لابد من الإشارة إلی بعض الدراسات مثل «مقام زن در شعر ابوالقاسم لاهوتی، ایرج میرزا وعارف قزوینی» لـ"سعید حاتمی وپروانه صفایی" التی نشرتها مجلة "زن وفرهنگ" سنة۲۰۱۲ وقام الباحثان فیها بدراسة مکانة المرأة من منظار شعر لاهوتی، والأخری: «بازتاب رئالیسم در اشعار لاهوتی» بقلم "مرتضی رزاق‌پور وسمیه نوش‌آبادی" المنشورة سنة ۲۰۱۳م وتناولت بعض الجوانب من آرائه ومضامین أشعاره، فضلا عن ذلک فقد کتب بحث بعنوان «اولین وآخرین پیغام» بقلم "رحیم مسلمانیان قبادی" سنة ۲۰۰۱م والذی یعتبر تعریفا بأعمال لاهوتی للاطّلاع علی خصائصه الشعریّه. وهناک دراسة فی حیاة لاهوتی ومضامینه الشعریة بقلم "محمود درگاهی" التی تحمل عنوان «پیشاهنگ سپاه سرخ» وقد طبعت سنة ۲۰۰۰م بمجلة "ایران شناخت" وقد أتی الدارس فیها بالمضامین الاجتماعیّة والثوریّة لدی الشاعر منها الوطن، والحریة، ونزعات الشاعر الدینیة، و...، علاوة علی هذه الدراسات، فقد کتب "أحمد بشیری" مقدمة لدیوان لاهوتی اشتملت علی حیاة الشاعر ونماذج من أشعاره.

وأما الدراسات المرکّزة علی شعر الثورة الدستوریة والتی استهدفت صور المقاومة فی شعر الشعراء فهی کثیرة جدّا، منها:

کتاب «تاریخ تحلیلی شعر نو» لـ"شمس لنگرودی ۱۹۹۸، و«از نیما تا روزگار ما»

بقلم "يحيى آرين پور" ١٩٩٣، و«از بهار تا شهريار» لـ"حسنعلى محمدى" ١٩٩٣و... لكن هذه الكتب قد تحدثت عن حياة لاهوتى بصورة وجيزة وأوردت شذرات من أشعاره فى مختلف أغراضه الشعرية دون أن تشير إلى عناصر المقاومة التى اعتمدها الشاعر فى هذه القصائد.

**أسئلة البحث**

حاول هذا البحث بعد التعرف على حياة "ابوالقاسم لاهوتى" وظروف بلاده آنذاك وتحليل مضامين الثورة والمقاومة فى شعره، الإجابة عن الأسئلة التالية:

أ. كيف عبّر الشاعر عن ظروف بلاده فى أشعاره؟

ب. ما هى ميزات الثورة والمقاومة عند لاهوتى؟

ت. ما هى الموضوعات التى عالجها لاهوتى فى أدبه الملتزم؟

**لمحة عن حياة لاهوتى**

ولد أبوالقاسم لاهوتى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وقد عاصر إحدى الأحقاب الخطيرة من تاريخ إيران وهى حقبة حكومة القاجاريين والبهلويين. كان والده أحمد إلهامى حذاء بسيطاً متديناً، لكنه كان من أحرار الحركة الدستورية ومن أصحاب الشعر والأدب. (مشيرى، ١٣٥٧ش: ٧) نما لاهوتى فى ظل تعاليم أبيه وتعلّم منه حرية الفكر، وفى مثل هذا الجو، ومع تعرفه على الأدب، لمس المحنة والجوع بلحمه ودمه.

فى الثامن عشر من عمره، تعرّف بالوطنيين ودعاة النظام الدستورى وانخرط فى الحركة الدستورية فى صف فدائيى الحرية وتعاون معهم وأيّدهم بأشعاره ووضع قريحته المحراقة كسلاح فتّاك فى أيدى الثوار، وما لبث أن علم لاهوتى أنّ سلاح القلم ليس بكاف، فحمل بندقية وتحرك مع الثوار. (آرين پور، ١٣٧٤ش: ٤٩٢)

ذهب لاهوتى إلى مدينة قم بعد التجارب التى اكتسبها من معارك القتال، والتحق بالدرك الذى كان يدار من قبل السويديين، وطرد منه بعد مدة وحكم عليه بالإعدام إثر سوء التفاهم، بتهمة الإقدام على التخريب، ولكنّه فرّ إلى الأراضى العثمانية وهناك واجه صعوبات ومشكلات مدة من الزمن. (علوى، ١٣٨٦ش: ١٧٥) وما مضت مدة

مــن تواجــد لاهوتى فى تركيا حتى اندلعــت الحرب العالمية الأولى، وبعد أن اشــتعلت نيرانها، اســتغل لاهوتى اضطراب أوضاع إيران وعدم استقرارها وعاد إلى كرمانشاه، وفى الســنتين الأوليين من بدء الحرب العالمية، أصدر صحيفة "بيســتون" فى مسقط رأسه كرمانشاه، وعاتب القوات الأجنبية وهاجمها فى هذه الصحيفة. (لاهوتى، ١٣٥٨ش: ٨١)

وبعد ســيطرة بريطانيا على إيران، لم يتمكن لاهوتى من أن يســتمر فى نشــاطاته السياســية ولم ير بدّاً من الهروب، وهرب مرة ثانية إلى تركيا ونشــر هناك مجلة بارس الأدبيــة بمســاعدة حملة الأقلام وشــعراء إيران وتركيا مثل حســن مقــدم، خان ملک ساســانى، رضا توفيق بک، وأديب الممالک فراهانى، وقد خيّمت النزعة الوطنية على هذه المجلة، وكان لاهوتى رئيس تحرير القســم الفارسى فيها وحسن مقدم رئيس تحرير القسم الفرنسى. (آرين پور، ١٣٧٤ش: ٤٩٢)

لم يــدم بقاء لاهوتى فى تركيا طويلاً إذ بذل جهــده للعودة إلى وطنه فعاد إلى إيران مرة أخرى. فبدأ العمل فى الدرک مرة ثانية برتبة رائد. وفى ســنة ١٩٢١م قامت جماعة فى آذربيجان تحت قيادة لاهوتى بانقلاب عســكرى فى تبريز، وسيطر لاهوتى بمساعدتهم على هذه المدينة، ولكن بعد عشــرة أيام هاجمت القوات الحكومية تبريز وحرروها من أيدى هؤلاء. حيث فشــلت تلک الحركة واضطر الثائرون إلى الهروب، ففر لاهوتى مع بعض ضباط الجيش إلى الاتحاد الســوفياتى فى ليلة مظلمة من ليالى الشــتاء. (حقيقت، ١٣٨١ش: ٦١٥ – ٦١٧)

إن لاهوتى قضى القســم الثانى من حياته فى الاتحاد الســوفياتى وفى طاجيكســتان عموماً، كان لاهوتى فى بداية إقامته بطاجيكستان معلم مدرسة ابتدائية، وأما بعد دخوله فى الحزب الشيوعى فترقى فى سلّم التقدّم واحداً بعد آخر وأصبح رئيساً لآكاديمية علوم طاجيكستان ووزيراً للمعارف. (محمدى، حسنعلى، ١٣٧٢ش: ٢٤٨)

لم يتفرغ لاهوتى للشــاعرية كعمل، فقد كان يقضى معظم وقته فى المشاغل السياسية والعســكرية، ومع ذلک ترک أثراً إيجابياً فى ثقافة الشعب الطاجيكى وفكره، وبقى اسمه موضع الاحترام بعد وفاته.

**ملامح من الثورة والمقاومة عند لاهوتى**

يعتبر لاهوتى شاعرا يعرف منزلة الشاعر ومسؤوليته فى المجتمع، وأهمية الشعر وتأثيره فى قلوب الناس واستنهاضهم أمام الاستبداد، وصبّ أفكاره التحررية والإصلاحية فى قوالب شعرية، ودعا الناس إلى المقاومة أمام الظلم والفساد. ولجأ إلى أساليب متنوعة مثل التحريض والتهديد والتحقير والتنويه، فى استنهاضه ودعوته إياهم إلى الثورة.

ارتبط الشاعر منذ بداية حياته بواقع الشعب وآلامه، حيث كانت القضايا السياسية فى سلم أولوياته، فهو كان يكتب للجماهير وللثورة ولحركات التغيير الصادقة التى كانت تنخرط فيها جموع الفقراء والمضطهدين، وقد استوعب أبعاد المشاكل السياسية فى إيران من خلال تجربته الخاصة ومعاناته من قمع الحريات، ولذلك فقد راح شعره ينبض بالقضية السياسية وأخذ يدافع عن الحريات ويسخر من النواقص ويبرز مدى التمزق الذى وصلت إليه الأمة.

إن ديوان الشعر الذى تركه لاهوتى، يشتمل على أشعار ذات نقاط ومعان يمكن أن تصبح تقارير لكثير من المسائل والأحداث فى تلك الفترة من تاريخ إيران وبعض البلاد المجاورة، وشعر لاهوتى رواية تاريخية موثوقة سجلت الأحداث والوقائع فى زمن الشاعر. حيث ينشد:

در آتش مبارزه زندگی من به پایان خواهد رسید دوران زندگی من، زمان شمشیر وآتش وخون بود

(لاهوتی، ١٩٧٩ش: ٢١٣)

– ستنتهى حياتى فى نار النضال والقتال. كان زمن حياتى، زمن السيف والنار والدم.

الصورة التى أوردناها بصورة وجيزة عن حياة الشاعر والظروف التى أحاطت بها، كلها مؤثرات قد أثرت فى شخصية الشاعر وفى حياته الشعرية ونظرة منا على مضامين أشعاره تؤكد لنا تأثير الأحداث المختلفة فى زمن الشاعر وخصائصه الشخصية عليها.

**أ– حب الوطن والذود عنه**

كان لاهوتى يعيش على ذكرى وطنه الذى غادره، وهو يتابع أخباره ويصفى لأهله

حبــه ومودته، ويقف على مــا يصيبهم من المحن والظلم، فيذهب قلبه عليهم حســرات وتترامى إليه أخبار المآســى الــتى يتخبط بها وطنه فتتلظى فی فــؤاده النار. هو وطنیّ حقاً، ما نسی وطنه لحظة رغم بعده عن وطنه إيران لسنوات طوال، ورغم كونه شيوعياً متعصباً، وكان يعتز به ويتباهى بشــعبه، إلا أنــه كان يغنى لإيران كالمغرم الذى بعد عنه حبه وغرامه. وكثير من أشعاره الوطنية، يعكس مشاعر حبه لإيران:

تنيده یاد تو در تار و پودم میهن ای میهن　　بودلبریز ازعشقت وجودم میهن ای میهن
تو بودم کردی ازنابودی وبا مهر پروردی　　فدای نام تو بود ونبودم میهن ای میهن

(المصدر نفسه: ٤٤)

– امتزجت ذكراك بســداى ولحمتى أيها الوطن، أيها الوطن وامتلأت حياتى بحبک أيها الوطن.

– أنت أعطيتنى الحياة وربّيتنى بالحنان أفديک بكل ما لدىّ أيها الوطن.

لا يرى لاهوتى وطنه المحبوب كما يريد، فوطنه مضطرب وقلق. فهو يصرخ ويتساءل:

وطن ویرانه از یار است یا اغیار یا هر دو؟　　مصیبت از مسلمانهاست یا کفار یا هر دو؟
هر کسی داد وطن خواهی زند اما نمی‌دانم　　وطن خواهی به گفتار است یا کردار یا هر دو

(المصدر نفسه: ١٢٥)

– أ دمار الوطن من الصديق، أم من الغير، أم من كليهما، المصيبة من المســلمين، أم من الكفار، أم من كليهما؟

– كل شــخص يدّعــى الوطنية ولكــن لا أدرى هل الوطنية بالقــول، أم بالعمل، أم بكليهما؟

ويحسب الشــاعر، التشرد والمتاعب التى يتحملها، لأجل الوطن، ذلک الوطن الذى يكرم فيه الخونة ويتم فيه إذلال المخلصين:

ویران‌تــر از ایران بود امروز دل من　　ای‌وای‌به‌این‌خانه‌ویران‌چه‌توان‌کرد؟
دانم که خیانت به وطن راه ترقی‌ست　　اما به جلوگیری وجدان چه توان کرد؟

(المصدر نفسه: ٧٧)

– قلبى اليوم أكثر دماراً من إيران فوا أسفا على هذه الدار المدمرة، ماذا عسانا أن

نعمل.

– أعلم أن الخيانة للوطن سبيل الرقى ولكن ما عسانا أن نعمل مع الضمير حينما يردعنا.

فقلب لاهوتى جريح دائماً من دمار وطنه وعدم استقرار الأوضاع فيه، ويذرف من العين دماً ويتمنّى الرقى والحرية والرفعة والشموخ لوطنه إيران ويسيتبد به القلق حينما يرى، أن نشيد الحرية ينشد فى أكثر البلاد ولكن وطنه لم يزل فى براثن الاستبداد والظلم ويحكم الأمراء الخونة فيه الشعب النائم والغافل:

چوبينم صورت خوبان هفتادودوملت را　　بياد آرم كه يار من نشد آزاد ومى نالم

زفقر زارع ودل سختى مالک بود روشن　　كه ايران مى شود ويران زاستبداد ومى نالم

(المصدر نفسه: ٦٦)

– عندما أرى وجوه الطيّبين من الاثنتين وسبعين فرقة أتذكر أن حبيبى ما يزال سجيناً فلذلک أنينى.

– لقد تجلّى من فقر الفلاح وقسوة الملاّک أن إيران ستتدمر من الاستبداد فلذلک أنينى.

سيكون شرف هذه الأرض ونبلها، رهن استقلال الوطن وشرفه، وسيخلق الوطن الحر اليكرامة لشعبه، ولا قيمة للروح والحياة فى سبيل حرية هذا الوطن:

به وطن ما شديم جان و تن　　وطن از ما بزرگ و ما ز وطن

همه آن را عزيز مى داريم　　جان گرش لازم است بسپاريم

(المصدر نفسه: ٤٣٠)

– حياتنا من الوطن ومنّا حياة الوطن يسمو الوطن بنا ونسمو بالوطن.

– نحن نكرّمه جميعاً، وينبغى أن نضحى بحياتنا إذا لزم الأمر.

ويمكن القول إن من أهم مصاديق محبة الوطن التى يجب أن يعرضها عشاق ومحبو الوطن عملياً فى رؤية الشاعر هى بذل الغالى والنفيس فى سبيل الوطن، ونراه فى شعر "دست مردم" [= يد الشعب] يصف قلبه الذى لا يهدأ للتضحية فى سبيل الوطن الأم:

يادى از اين بنده كن اى ميهن اى مادر كه دل　　بهر جان بازى به راحت بى قرارى مى كند

(المصدر نفسه: ١٢٤)

– اذكرنى يا وطن، يا أم، لأن القلب لا يهدأ عن الفداء فى سبيلك.

ويقول فى حديث يخاطب به أقرانه، إن الحياة دون الحقوق الفردية واستقلال الوطن عـار، ولا قيمـة للروح فى سـبيل الوطن. وهنـا فعلى محبى الوطـن أن يدعوا الصمت والخوف جانباً ويستهينوا بالأخطار:

گرنداری تو حقوق ووطنت استقلال
زندگی ننگین است
در چنین حال بود ترس وسکوت اضمحلال
خطر جان این است
جان چه لازم اگر ایران تو گردد پامال (المصدر نفسه: ٤٤١)

– إن لم تكن لک حقوق ولم يكن لوطنک استقلال
– فالحياة عار
– وفى مثل هذه الأجواء يسبب الخـوف والصمت اضمحلالاً
– وهذا هو الخطر أيها العزيز
– ما جدوى الحياة إذا ما سحقت إيرانک

**ب– نقد الحكام الجائرين**

للظلـم خلفية ترجع إلى بدايـة الخليقة ، وكما قال أمير المؤمنـين على(ع): «يأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها.» (نهج البلاغة، ١٣٧٩ش: ٦٧٢) «المستبد يتحكم فى شـؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصـب المتعـدى فيضع كعب رجله على أفواه الملايين من الناس يسـدها عن النطق بالحق والتداعى لمطالبته.» (الكواكبى، ٢٠٠٦م: ٤١)

كان الحكام الظالمون يمتصون دماء شـعوبهم على مر العصور، وقد صرح به التاريخ. ولم تكن إيران استثناء أو بدعا بين البلدان، وهى أيضاً كانت مصابة بهذا الداء العضال، داء ظلـم الحكام واضطهاد الأمراء للناس، فلهذا حينما نراجع قصائد لاهوتى، نشـعر فيها بروح ناقمة على أوضاع زمنه، شـديدة الحملة على ترف الحكام وسـوء تصرفهم

إزاء طبقات شعبهم المحرومة، التى تعيش عيشة الشقاء والانحطاط. ويصوّر الشاعر الظروف الاستبدادية السائدة على المجتمع آنذاك، مدافعا عن حرية الشعب واستقلاله أمام حكام طغاة فيجرى الشعر على لسان الشاعر، وهو يشعر فى أعماقه ببؤس وطنه وما يرزح تحت أثقاله من استبداد الملك وعملائه، ولم يلبث أن ثار فى شعره على هذا الاستبداد وما ينطوى عليه من أغلال وقيود.

لقدعالج لاهوتى اضطراب إيران آنذاك، معتقدا أن حكام إيران جعلوها عرضة للاحتلال تحت أقدام الأجانب بسياساتهم الفاسدة. ويعمل الشاعر على إبراز مسؤوليات الحكام، ويفضح أساليبهم فى تكريس العرش وتثبيته دون مبالاة بأبسط حقوق الشعب. فالحكام هم سبب البلاء والتخلف الذى يضرب بأطنابه على الجوانب الحياتية المختلفة. فتلاحظ قسوة لاهوتى وإقذاعه فى هجاء الحكام وسيطرة هذا الهاجس الملح على تفكيره ووجدانه، حيث لاتكاد تخلو قصيدة من قصائده من الطعن فى الحكام وكشف مفاسدهم وعمالتهم، فيرفع صوته قائلاً:

تا چند دهاتیان به رشوت　　بخشندبه‌خواجه‌دختران‌را؟
تاکی امرا ز خون مظلوم　　لبریز کنند ساغران را؟
تا چند شهان زپول دهقان　　در بر بکشند دلبران را؟
تا کی وزرا کنند پا مال　　با رشوه حقوق دیگران را؟

(لاهوتى، ١٣٥٨ش: ٥٧)

– حتام يقدم القرويون بناتهم رشوة للسيد؟
– حتام يملؤ الأمراء أقداح الشراب من دم المظلوم؟
– حتام يعانق الملوك العشيقات من أموال الفلاح؟
– حتام يسحق الوزراء بالرشوة حقوق الآخرين؟

ويصرح لاهوتى بأن الملك ذئب والأمير لص:

فکر ایران‌باش‌لاهوتی،که‌من‌درآن‌دیار　　گرگ‌راچوپان‌ورهزن‌راکلانتر‌دیده‌ام

(المصدر نفسه: ٩١٥)

– فكّر لاهوتى بإيران، لأننى رأيت فى تلك الديار الذئب راعياً وقاطع الطرق رئيساً

للشرطة.

ویصوّر عمال الملک، ذئاباً فی وجه کلاب:

به جلد سگ هزاران گرگ دارد شاه در گله　　خیانت کردن این گونه چوپان را چه میدانی

(المصدر نفسه: ۸۷)

– للملک آلاف ذئاب فی صورة کلاب، کیف لک أن تعلم خیانة راع کهذا.

ویقول إن حارس إیران – ویقصد به الملک – لص، ثم یشبه الوطن بزلیخا ویشبه عشاق الوطن ومحبیه والمجاهدین فی سبیله بیوسف(ع)، ویقول من یعشق الوطن ویحفظ شرفه فمصیره السجن:

بر کشور دل غمزه‌ات امروز امیر است　　دزد است در این خانه نگهبان چه تواند کرد؟

ناموس زلیخای وطن هرکه نگه داشت　　یوسف صفت افتاد به زندان چه تواند کرد

(المصدر نفسه: ۷۷)

– دلالک یحکم دولة القلب الیوم الحارس فی هذا البیت لص، ماذا عسی أن نعمل؟

– من احترم شرف زلیخا الوطن ألقی فی السجن کیوسف(ع)، ماذا عسی أن نعمل؟

ویندد لاهوتی بالامتیازات التی أعطاها الملک للأجانب ووهبهم أرض إیران وثرواتها ومعادنها بثمن بخس:

لرد از شاه وطن را به دو میلیون می‌خواست　　پیش خود گفت گران است، خر اند اربدهد

(المصدر نفسه: ۵۷۸)

– کان اللورد یرید الوطن من الملک بملیونین همهم، قائلاً: إنه غال فهل یعطونه المبلغ.

ویخاطب الشاعر الملک قائلاً:

ای آنکه شرق را به اروپا فروختی　　ای بی‌شرف بگو چه خریدی به جای شرق

(المصدر نفسه: ۸۸۲)

– یا من بعت الشرق لأوروبا یا عدیم الشرف، قل ماذا اشتریت بدلاً من الشرق؟

ویشیر الشاعر بصراحة إلی لهو الملک فی أوروبا وطلبه الرشوة من الأجانب وترفه بأموال الشعب:

هی پول به زنهای اروپا بده ای شاه ورنیست حوالت به رئیس الوزراکن
کافی نشـد ار رشـوه کابینه لندن مالیه ایران که نمرده‌ست صفا کن

(المصدر نفسه: ٩٢٣)

– أيها الملک، هب النقود لنساء أوروبا دائماً وإن نفدت فاطلبها من رئيس الوزراء.
– فإن لم تكف الرشوة لحكومة لندن إن وزارة المالية لم تمت، فتنزّه.

**ت– صورة المحتل**

إذا كان الإنسـان بطبيعته نزوعاً إلى التحرر نفوراً من الاسـتعباد، فإن رجل الفكر والفن لا غنى له عن نسـمات الحرية، لأنها جزء أصيل من شخصيته المتميزة وما ينبثق عنـه من آثار رفيعـة وأفكار نيرة. ولهـذا كان الأدباء والمفكـرون رواد حرية النفس الإنسـانية وكرامتها ورواد مناضلة الاستعباد والاسـتعمار، لقوا فی سبيل رسالتهم كل عنت وأذى وكثيرون هم شهداؤها الذين سيقوا إلى مذبحها وصلبوا على خشبتها. وكان لاهوتی من جملة هؤلاء الشـعراء، لقی أذى التشـريد وألم الغربة والفراق والبعد عن بنی وطنه.

كانت إيران فی الزمن الذی عاشه لاهوتی، مسرحاً لكثير من الأحداث التی لم تقتصر أصداؤها على إيران وحدها، بل ترددت فی آفاق أخرى من العالم فی ذلک الوقت، لأن إيران كانت مسـرحاً تتصارع فوقه القوى الأجنبيـة التی تعارضت مصالحها فی إيران، فكانت إيران فی نظر الدول الغربية المسـتعمرة من أهم الميادين من النواحی السياسية والاقتصادية والحربية والإسـتراتيجية، فكان الصراع محتدماً على أشـده بين بريطانيا وروسـيا، ونظراً لضعف الحكم القاجاری وعجزه عن الوقـوف فی وجه الأجانب، فقد اختلت الأوضاع فی إيران بصورة جعلت الوطنيين يفزعون ويطالبون بالحرية والتخلص من نفوذ الاسـتعمار. لذلک نجد أن المسائل الوطنية والسياسية ومناضلة الاستعمار قد غلبت على نتاج كثيرمن الشـعراء والكتّاب فی هذا العصر، بل لا نجد شـاعراً، أو كاتباً ليس للمسائل الوطنية نصيب من نتاجه الفنی.

فحب الوطن والخوف من اسـتيلاء الأجانب عليه من أهم المضامين التی عبر عنها

لاهوتى أحسن التعابير فى أدق الصور، وذلک لأن الشاعر شاهد احتلال قسم عظيم من الوطن بأيدى الأجانب، فشعر بمهمته فى نشر الوعى الشعبى وحذر الشعب من استيلاء الأجانب على الوطن. وها هو ذا لاهوتى يشبه الوطن بالأم فلا بدّ من المحافظة عليها كما تلزم المحافظة على الأم، ويكره لنا أن نقدّم الوطن للعدو كما يقبح بنا أن نودع الأم لدى العدو، فيقول:

ای مادر وطن پسرانت نمرده‌اند　　آسوده‌باش گول اجانب نخورده‌اند
البته حق مادریت را ادا کنیم　　یعنی که جان و مال به راهت فداکنیم
در سایه تو کاخ عدالت بنا کنیم　　دست تو را زبند اجانب رها کنیم

(المصدر نفسه: ٤٥١)

- يا أمّنا الوطن، لم يمت أبناؤک، كونى هادئة، فإنهم لن ينخدعوا بالأجانب.
- نؤدى حق أمومتک بالتأكيد، أى نضحى بالروح والمال فى سبيلک.
- نبنى قصر العدل فى ظلک ونحرر يدک من قيد الأجانب.

فلاهوتى يعرب عن قلقه وخوفه من احتلال الوطن ويعتقد أن الوطن هوية الإنسان وعرضه وحماه، فلابدّ أن يذود عنه كما يذود عن عرضه وشرفه، ويؤكد على أنه يجب أن يخرج العدو من الوطن، أو تخرج الروح من الجسم:

زندگانی نیست دشمن را به ملک خویش دیدن　　باید از تن جان من یا از وطن دشمن برآید

(المصدر نفسه: ١٧٥)

- ليست الحياة أن نرى العدو فى ملكنا، ينبغى أن تخرج روحى من البدن، أو يخرج العدو من الوطن.

قبيل الحرب العالمية الأولى، أصبحت إيران ضحية الصراعات الشديدة بين الثوار والدستوريين من جانب والحكام المستبدين من جانب آخر، وكانت جهود الاستعمار التوسعية فى إيران قد بلغت ذروتها. فلهذا اتخذت نغمة الوطنية ونشيد الحرية والمضامين الداعية لمناهضة الاستعمار والاستبداد، نظاماً خاصاً فى أشعار لاهوتى. فهو يخاطب الشعب قائلاً:

وطن خواهان وطن ویرانه گردید　　وطن منزلگه بیگانه گردید

به خاک مـا تجاوزهای اغیار　　بـر اهل جهان افسـانه گردید

(المصدر نفسه: ٤٥٠)

– أيها الوطنيون لقد دمر الوطن، أصبح الوطن مسكن الأجنبى.

– أصبحت اعتداءات الاغيار على أرضنا أسطورة لدى أهل العالم.

ويشـجع الشاعر بنى وطنه على الوقوف أمام الاسـتبداد والكبت وأمام اعتداءات الأجانب دفاعاً عن الحرية:

بس است این حال مسکینانه برخیز　　بـه دفـع قـوه بیگانـه برخیـز

بـزن آن را بران از خانه بر خیز　　سبک برخیز از این خواب سنگین

(المصدر نفسه: ٤٦٤)

– تكفى حالة المسكنة هذه، انهض وقم لدفع القوى الأجنبية.

– اضربه واطرده من البيت، انهض انهض بخفة من هذا النوم العميق.

وفى مكان آخر ينبّه أبناء وطنه إلى خطر الخونة الداخليين فى جرّ إيران إلى الفساد والفناء، ويسـمى هـؤلاء الخونة، بائعى الأم والأخت وشـرف الوطن، ثم يصرخ ويعبر عن اسـتعداد المجاهدين لأن يفدوا أنفسـهم فى سبيل الوطن الذى هو أغلى من الجسد والروح والحياة:

دشمـن از بـرون، خائـن از درون　　زین ددان کنون، میهن پاک ما غرق آذر است

هر شریر پست، از وطن گسست، با عدو نشست　　او فروشـنده مـام وخواهـر اسـت

لازم ار شود، تن رها کنیم، جان فدا کنیم　　میهـن از جـان وتـن پربها تـر اسـت

(المصدر نفسه: ٥٥٠)

– العدو من الخارج والخائن من الداخل

– يغوص وطننا الطاهر فى النار من هؤلاء السباع

– فكل شرير لئيم انقطع من الوطن وجلس مع العدو

– فهو بائع الأم والأخت

– فإن وجب نترك الجسد ونضحى بالنفس

– فإن الوطن أغلى من النفس والجسد

ومرة أخرى، فی مقابل العدو الأجنبی الذی تسبب فی القضاء علی استقلال إیران وجعله یتعلق بشعرة، یذکر بدور الخونة الذین حطموا إیران وهدّدوا استقلالها وسیادتها وساعدوا فی عدم استقرار حالة إیران مواکبین الأجانب فی ذلک:

دشمن استقلال ایران را به مویی بسته و آن را　　دست این ایرانیان خائن از هر سو تراشد

(المصدر نفسه: ٥٤٨)

– جعل العدو استقلال إیران متعلقاً بشعرة وبدأوا یقطعونها بید هؤلاء الإیرانیین الخونة من کل جانب.

ویرید لاهوتی سفک دماء الخونة ویذعن فی شعره "جواب سرخ" [= الرد الأحمر] إلی أن الاغتسال فی دم خونة الوطن واجب فی شریعة الثورة حسب نص الکتاب الأحمر:

درخون خائنان وطن واجب است غسل　　در شرع انقلاب به نص کتاب سرخ

(المصدر نفسه: ٨٣)

– یجب الاغتسال فی دم خونة الوطن فی شریعة الثورة حسب نص الکتاب الأحمر.

**ث– صورة الشعب والترکیز علی الظروف الصعبة التی یعیشها**

کان لاهوتی أحد الوجوه الثوریة التی ساهمت فی توعیة الشعب، وفی إیقاظه من نوم الغفلة والتخلف وإذ کان یسعی لتحقیق أهدافه من خلال الترکیز علی الظروف الصعبة التی یعیشها الناس وإبراز الآخر المعتدی الذی یسعی لإضعاف قوتهم بالحث علی العمل والأمل.

وقد وظّف لاهوتی الشعر لخدمة الشعب وأراد منه أن یتصدّی لحکم الطغاة المستعمرین ودعا إلی الوعی الوطنی، وأراد الشاعر للشعر، مفهوماً، ووظیفة، ومتعة، تخدم الفرد والمجتمع والأمة، وتعینهم علی الخروج من محنتهم وتخلفهم. فهو أنشد شعراً لاذعاً حاداً فی طهران سنة ١٩٠٩م، وخاطب فیه شعبه قائلاً: (مسلمانیان قبادی، ١٣٨١ش: ٥٩)

ای رنجبر سیاه طالع　　بیچاره پا برهنه زارع

ای رنجبر ستم کشیده　　جز زهر ز دهر ناچشیده

(لاهوتی، ١٣٥٨ش: ٦٢٦)

– أيها الكادح السيء الحظ أيها الفلاح المسكين الحافى.

– أيها الكادح المظلوم الذى ما ذاق من الدهر إلاّ السم.

فهو يذكــر ظلم الأغنياء مرات ومرات، الأغنياء الذيــن يتمتعون بكل الإمكانيات دون جهد وتعب ويستغلون العمال والكادحين كآلة للراحة والرخاء:

تا چند برای نفع خود اشراف　　آواره کننــد و در به در ما را

تا کی چو کلاه و کفش بفروشند　　این بی شرفان به سیم وزر ما را

(المصدر نفسه: ٥٨٣)

– حتام يشرّدنا النبلاء ويطاردوننا تأميناً لمصالحهم.

– حتام يبيعنا عديمو الشرف هؤلاء بالفضة والذهب كقبعة وحذاء.

وما اكتفى الشاعر بتصوير الظلم والاعتداء فحسب، بل دعا المظلومين الغافلين إلى الوعى والاطلاع:

بیدار شو بس است غفلت　　تا کی به مــرارت و مذلت

(المصدر نفسه: ٦٢٩)

– استيقظ، تكفى الغفلة، حتام تقضى الايام بالألم والذل.

ولاهوتى يريد لوطنه الحرية، ويريد لشعبه الخلاص، فيحثهم على الثورة لأن الشعب هو الذى يقرر مصيره وهو الذى يختار طريقه، ويدعو شــعبه لمكافحة الحكام المستبدين ومحو الاضطهاد الذى خيّم على الشعب طوال السنوات، من أرض الوطن، وعرض على أبناء وطنه أسباب الظلم والعدوان، وخاطبهم قائلاً:

زحمت ز تو نعمت از تو نبود　　زیرا که حکومت از تو نبود

(المصدر نفسه: ٦٣٠)

– أنت تتحمل المشقة، والنعمة ليست لک لأن الحكومة ليست منک.

فهو يتحدث عن حرية الشــعوب المســلوبة وما ينبغى أن تتسلح به فى مقاومتها لمن ســلبوها تلک الحرية من أســلحة خلقية، أو مادية، بل إنه ليدعوها إلى الثورة ضدهم. فاقرأ هذه الأبيات وقدر ما فى نفس الشاعر من غضب، إنها صرخة فى وجه الاستبداد الذى عاث فى البلاد فســاداً وقتل الناس ونهب أرزاقهــم وكمم أفواههم، ولقد صارت

الكلمات هنا حماً نارية تسفع الجلود وتلهب النفوس وتحرض الناس على الثورة لقاء حريتهم المهضومة:

بر ضد خود پرستی مردان قیام کن　　تمکین چرا به بندگی وزور می‌کنی؟
ای رنجبر تو آلت صنف توانگری　　این ننگ را چه وقت زخود دور می‌کنی؟
ظلم اصول شاه پرستی زحد گذشت　　پس کی به پا توراید جمهور می‌کنی؟

(المصدر نفسه: ٩٢٩)

- ثُر ضد أنانية الرجال لماذا تتقبل العبودية والقسر؟
- أيها الكادح أنت كوسيلة بأيدى المقتدرين، متى تمحو هذا العار من نفسك؟
- لقد تجاوز ظلم مبادئ عبادة الملوك حدوده، فمتى ترفع أنت راية الجمهورية؟

## ج- الدعوة إلى الوعى ونبذ الجهل

كان الشاعر قد ولد فى الفترة التى، كان فيها الملوك الظالمون، ورجال البلاط المتكبرون، والعمداء والأغنياء الطامعون، وأولو الأمر العملاء للأجانب، كانوا متحدين ليخدعوا الشعب الأمى وغير الواعى الإيرانى وينهبوه وجلى أنه كلما يكون هذا الشعب أكثر أمّية وتخلفاً يكون نهبه أسهل وأيسر. فالجهل نتيجة سياسة عرجاء اتخذها الحكام مساراً لشعب، حيث إن الجهل يتحكم بالنفوس والعقول، ويسهل من خلاله السيطرة على الشعوب. وها هو لاهوتى يصرخ ويقول: إذا قطعت أيدى الظلم من أرض إيران فسوف ينمحو الجهل والأمية وتسطع أشعة العلم على الشعب:

روزی که شود ز خاک ایران　　یک‌مرتبه دست ظلم کوتاه
دانش فکند به خلق پرتو　　نادان‌ها را نماید آگاه

(المصدر نفسه: ٤٦٨)

- يوم تقطع يد الظلم من أرض إيران بشكل كامل.
- ينوّر العلم الشعب، ويجعل الجهلة أوعياء.

وينتقل لاهوتى إلى التعبير عن الناس وحالاتهم أيام استبداد الحكام الظالمين، هل إنهم يشعرون بهذه الأزمات ويسعون لمعالجتها ويدافعون عن أنفسهم أمام الظالم،

ويطلبــون طرد الظلم، أم هم نائمون لا يفكرون فى مصيرهــم ومصير بلدهم، وأصبحوا صامتين تجاه الاضطرابات الســائدة فى بلدهم، فالشــاعر يتأســف ويتأسى ويتألم على أحوالهــم ويصفهم بأنهم فى غفلة وأنهم الخامدون والراضون بالذل، وضالون عن ســواء السبيل، وضعفت نفوسهم أمام أولئک الحكام الفاسدين:

خیانتهای شاه وجهل ملت را چو می‌بینم  یقین دارم رود این مملکت بر باد ومی‌نالم
رعیت را فروشد با زمین ملاک ومی‌بینم  که‌ملت‌عاجزاست‌ازدفع‌این‌بیدادومی‌نالم

(المصدر نفسه: ٦٦)

– حينما أرى خيانات الملک وجهل الشــعب يرتفع أنينى لاأشک بضياع هذا البلد ويرتفع أنينى .

– يبيع الملاّكون، الرعية مع الأرض وأرى الشعب عاجزا عن صدّ هذا الظلم ويرتفع أنينى لذلک.

لعــل نزعة التمــرد ونقمة الثورة أبرز ظاهرة لدى لاهــوتى بالذات الذى ذاق مرارة التشرد وألم الغربة، غير أن هذا كله لم يثنه عن النضال فى سبيل حريته وحرية شعبه، ألم يقل لاهوتى منددا بسكوت الشعب، منكراً عليه عبوديته:

ترقی‌های هر ملت ثمر از حسشان باشد  تلاشی،غیرتی،حسی،شما هم‌ملتید آخر

(المصدر نفسه: ٢٠٣)

– رقى كل شعب نتيجة شعورهم فحاولوا وأبدوا غيرة وشعوراً فأنتم أمة أيضاً.

***

از غفلت ملت مگو این قصه دراز است  لاهوتی از این پس سر این رشته رها کن

(المصدر نفسه: ٣٢٧)

– لا تتحدث عن غفلة الأمة فلها حكايت طويلة فيا لاهوتى اترک هذه المسألة من الآن فصاعدا.

***

دهر ناکس، چرخ خائن، خلق نادان، دوست دشمن چون بمانم، چون بخواهم، چون

بسازم، چون بيبينم

(المصدر نفسه: ٨٨١)

– الدهر وضيع، الفلک خائن، الشعب جاهل، الصديق عدو، كيف أبقى، كيف أريد، كيف أساوم، كيف أرى؟!

ورغم أن الشاعر يرى فتنة الحكام وأصحاب المناصب تؤثر فى نفوذ الأعداء وسيطرتهم، لكنه لا يترک الشعب ولا يتناسى جهلهم وخمودهم:

وطن رافتنه مسند نشينان داد بر دشمن  و يا اين مردم بى دانش بازار يا هر دو

(المصدر نفسه: ١٢٥)

– هل أن فتنة أصحاب المناصب قدّمت الوطن للأعداء، أم هذا الشعب السوقى الجاهل، أم كلاهما.

## ح– الحرية

إن الحرية هى جوهر الإنسان وفقدان الحرية ما هو إلا الموت الحقيقى للإنسان وهى إحدى المجالات التى أنشد لاهوتى فيها. ولهذه الحرية فى شعره مفهوم خاص فى كثير من الأحيان، المفهوم الذى سمّاها ما شاء الله آجودانى «الحرية من النوع الطبقى.» (آجودانى، ١٣٨٥ش: ٢٠)

هذا النوع من الحرية، معناه تخلّص الكادحين والبائسين من سيطرة استغلال الرأسماليين والطبقة الارستقراطية ومن الطريف أن الوصول إلى هذا النوع من الحرية فى شعر لاهوتى قد تمت المطالبة به بأسوأ أساليب العنف والثورة وسفک الدماء.

يرى لاهوتى الحرية من منظار شيوعى، ويقترح سبيلاً ثورياً للظفر بها. فقد استمدّ الشاعر جوهر أفكاره وآرائه من منبعين: كان قد استمدّ من الثورة الدستورية والتيار الفكرى الناتج عنها من جهة، ومعجباً بمبادئ الشيوعية وثورة أكتوبر سنة ١٩١٧م فى روسيا من جهة أخرى. فآمن بحرية الإنسان وأشاد بالحرية السياسية خاصة. وفى حديثه عن الحرية كان يرسم طريق الدم ويرى أنه من الممكن الوصول إلى هذه الحرية، بثورة العاملين والكادحين.

ومع هذا كلّه، تأتى الحرية فى بعض أشعاره بمفهوم الاستقلال وحق الشعب فى تقرير مصيره و مصير البلد ، والحرية من هذا المنظار أحد الحقوق الطبيعية للإنسان، والإنسان يحتاج إلى الحرية هذه لتنمية مواهبه الكامنة وتفتّحها:

زندگی آخر سرآید بندگی در کار نیست　　بندگی گر شرط باشد زندگی درکار نیست
زندگی آزادی انسان و استقلال اوست　　بهر آزادی جدل کن بندگی در کار نیست

(لاهوتی، ١٣٥٨: ٥٤)

– وفى نهاية المطاف ستنتهى الحياة ولاعبودية هناك، وإن لزم أن تكون العبودية فلا معنى للحياة.

– الحياة هى حرية الإنسان واستقلاله، كافح لأجل الحرية، فلا معنى للعبودية.

قليلاً ما وردت الحرية بهذا المفهوم فى شعر لاهوتى، ويجب أن يدرس ويحلل هذا القليل أيضاً فى ضوء الحرية والمفهوم الطبقى. السمة البارزة لأشعار لاهوتى فى هذا المضمار هى الانطباع الشيوعى عن الحرية، فلننظر إلى الأبيات التالية التى تبيّن هذه السمة:

ما به ضد صنف استثمار کن داریم جنگ　　فعله ایم، آزادی زحمت شعار ما بود
منتظر از هیچ کس بهر رهایی نیستیم　　ناجی ما بازوان بردبار ما بود
ما سنددار یم که این دنیا سراسر ملک ماست　　ما سند داریم به دست پینه دار ما بود

(المصدر نفسه: ٨٣)

– نحن نحارب الطبقة المستغلة، نحن العمّال. هتافنا الحرية فى المحنة والتعب.

– لا ننتظر أحداً لبلوغ الحرية فالذى ينقذنا، هو سواعدنا الصبورة.

– لدينا وثيقة بأن هذه الدنيا كلها ملك لنا لدينا وثيقة هى فى أيدينا المثفّنة.

يرى لاهوتى الحرية من منظار السياسة الحاكمة فى روسيا، ويطيل الحديث فى تحرير العامل والفلاح من استغلال أصحاب العمل اوالملاّكين أكثر من الحرية الفردية. وحين يتحدّث لاهوتى عن الحرية الكاملة أيضاً يتكلم عن العامل والفلاح، ويظهر لنا أن وجهة نظره تتطابق مع وجهة نظر الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفياتى وفى رأيه أن هذه الحرية الثورية، تتحصل عبر كفاح العامل والفلاح، لا عبر كفاح فردى وغير منتظم، بل

كفاح جماعى منتظم:

بی‌شک بود آزادکن فعله ودهقان　　دست و بازوی توانا ودگر هیچ
کوتاه‌کند دست ستم را ز سر خلق　　تشکیل همین فعله بی پا ودگر هیچ

(المصدر نفسه: ٩١٧)

– بلا شک فإن محرر العامل والفلاح هو اليد والعضد القويتان ولا شيء.

– تنظيم هؤلاء العمال البائسين يقطع أيدى الظلم عن رؤوس الخلق ولا شيء.

يعد لاهوتى بلا شک، أول وأكبر المنشدين للكادحين فى إيران (انظر: الرحمن، ١٣٧٨ش: ٤٩؛ انوشه، ١٣٧٥ش: ٧٤٦) وقد أنشد للعمال والكادحين أكثر من أى شاعر آخر، وكان من مناصرى العمال ومعاضديهم، حتى قبل هروبه إلى الاتحاد السوفياتى، وخلال السنوات التى كان يعيش فى إيران. فقد وقف إلى جانب الشعوب المقهورة والمستغلة، يحثهم على الثورة والتحرر، وهو الذى كان قد اعتنق الإيديولوجية الشيوعية، نراه يدعو إلى ضرورة وقوف واطّلاع العامل والفلاح لأجل بلوغ الحرية ويدعوهم إلى الوحدة. حيث ينشد قائلاً:

جنبش کن خویش را آزاد بنما زین خسارت　　ورنه حال توست روز از روز بدتر ای دهاتی
متحد با کارگرها باش و بنیاد ستم را　　محو کن با چکش وداس هنرور ای دهاتی

(لاهوتى، ١٣٥٨ش: ٦٣٣)

– تحرّک وانقذ نفسک من هذه الخسارة وإلاّ سيكون حالک اليوم أسوأ من الغد أيّها الريفى.

– اتحد مع العمال وامح أساس الظلم بالمطرقة والمنجل الفنان، أيّها الريفى.

وأما لاهوتى فى الاتحاد السوفياتى، فهو متأثر بثورة روسيا، يبحث عن ثورة فى إيران على شاكلة ثورة أكتوبر، ولهذا نراه ينشد:

شه مست وشحنه راهزن وشیخ رشوه خواه　　دیگر که مدعی است که ایران خراب نیست
تبلیغ کس به خرج توانگر نمی‌رود　　ما دیده‌ایم چاره به جز انقلاب نیست

(المصدر نفسه: ٨٨٥)

– الملک سكران والحارس قاطع طرق والشيخ مرتش والآخر يدعى أن إيران

ليست خربة.

– لا يسمع الغنى دعايات أحد، نحن رأينا أن لا حيلة سوى الثورة.

وكان يدعو شعب إيران إلى أن ينظروا على التعاطف والإجماع فى الاتحاد السوفياتى، وينهضوا متأثرين بهذا الشعب لأجل الحرية والاستقلال ويكافحوا الاستبداد والاستعمار:

ای معظم خلق ایران سوی این سامان ببین　　روس وازبک، گرجی وتاجیک راجوشان ببین
یکدل وجانشان بر ضد جنگ افروزان ببین　　صلح خواهی را توهم درکارهم پیمان ببین
رزم کن با تیرگی آینده را رخشان ببین

(المصدر نفسه: ٤٦٨)

– يا شعب إيران العظيم انظر إلى هذا البلد النظام انظر الروس والأوزبک والجورجى والطاجيک ثائرين.

– انظر فهم متفقون ومتحدون ضد مثيرى الحرب، انظر أنت الوثام فى العمل وفى العهد أيضاً.

– كافح الظلام وانظر إلى المستقبل المنير.

كما أشرنا سابقا، لاهوتى فإن لاهوتى بعد ذهابه إلى الاتحاد السوفياتى، أصبح فى الحقيقة من المروجين والدعاة للمفاهيم الحزبية الشيوعية الروسية، وهو يشيد بثورة أكتوبر سنة ١٩١٧م ، والمنظمات العمالية فى الاتحاد السوفياتى، وإستالين ولنين قائدى الحزب الشيوعى فى روسيا، ونراه فى أشعاره هذه يصوّر إنساناً روسياً يثنى على المفاهيم الحزبية والثقافة الشيوعية ويدعو إليها، ويعد الزعيمين السابقين فى روسيا، منقذين ومحررين للعمّال ويتحدث عن عدلهما وإنصافهما وإنسانيتهما، فينشد فى مدح إستالين:

ستالين جان، تو ما را رهنمايى　　برادر، هم پدر، هم پيشوايى
به سرهوش و به درد ما دوايى　　خلاصه جان مايى، بخت مايى

(المصدر نفسه: ١٥١)

– يا إستالين العزيز، أنت مرشدنا وأنت أخونا وأبونا وزعيمنا أيضاً.

– أنت فكرنا ودواء دائنا وملخص القول أنت روحنا وحظنا.

وله فى مدح لنين:

ما نيز كه شـاگرد وفـادار لنينيم هـم عائلـه رنجـير روى زمينيم
امروز از اين قاعده غافل ننشينيم خيزيد كه يک دسته گل نغز بچينيم
آن سان كه بود شيوه شاگرد وفادار

(المصدر نفسه: ٢٢٣)

– ونحـن الذين نعتبر التلاميذ الأوفياء للنين ونحن أبناء الأسـر الكادحة فى الكرة الأرضية.

– لن نغفل اليوم هذا المبدأ انهضوا لنقطف باقة ورد رائعة.

– كأسلوب التلميذ الوفى.

عندما يتأمل القارئ الإيرانى شعر لاهوتى ويرى كثيراً من أشعاره مدحاً دعائياً لبلد آخر وأجهزته، يتحسـر فيها على أن هذه الأقوال ترشحت من طبع مثمر لأحد مواطنيه وهنا يقول "شمس لنگرودى": لقد انتهى لاهوتى بداية فى مسـيرته العسكرية، ثم فى نظام الصحافة الدعائى المسـيطر على حكومة الاتحاد السوفياتى فى ذلک العهد. (لنگرودى، ١٣٦٩ش: ١٦) وكذلک يتحسـر "محمد على سپانلو" على انحراف طبع الشاعر ويقول: فإن تخرج الشـجرة من أرضها فى موسـم التفتّح والازدهار، وتغرسها فى بلاد نائية وفى مناخ آخر، فلا تنمو الجذور وتذبل الشجرة بعد مدة. (سپانلو، ١٣٧٦ش: ١٦)

قـد رأينا دكتاتوريـة رأس المال تمثلث فى دكتاورية البرولتاريا على أوسـع نطاق وهذه الدكتارتورية التى تسـميها الماركسـية أحيانا "ديمقراطية البرولتاريا" باعتبارها تعطى كل الحرية وكل الحقوق للشـعب الكادح بينما هى "دكتاتورية" على البرجوازية لا غير.هـل حصلت الطبقـة العاملة على حقوقها السياسـية والإجتماعية كاملة؟ فإذا قامت ثورة فى بلد ما، لتقلب نظاما مستبدا متعفنا فلا ينبغى أن يكون البديل "دكتاتورية البرولتاريا" وإننا لا نسـتطيع أن ننكر أو نتجاهل الظروف القاسية ولا المخاوف الهائلة التى صاحبت التجربة الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى إبان نشوئها و قيام دولتها...

## خ– الدم والاستشهاد

«تحتـاج المجتمعات، لكـى تحفظ كرامتها وتسـودها العدالة، إلى أناس شـعارهم

التضحية وقول كلمة الحق مهما كلف ذلک، لأن استمرار الاستبداد داء عضال تنتج عنه أمراض اجتماعية عديدة فی کافة میادین السیاسة والتربیة والاقتصاد وغیرها.» (الکواکبی، ٢٠٠٦م: ١٨)

یقترح لاهوتی وهو الذی جرب میادین القتال وقاتل فی ساحات الحرب لأجل الذود عن الوطن، وقد سیطرت الروح العسکریة علیه وهو قد تأثر بالدعایات الشیوعیة ونزعات هذا الحزب وثورته التی یدعو إلیها، نهجاً ثوریاً مصحوباً بتضحیة النفس وسفک الدماء فی الذود عن وطنه الذی عجز ولا یستطیع النهوض والقیام. ویدعو شعب إیران للحضور فی ساحات الکفاح لأنه نفسه رجل المعارک والمیادین:

با وطن صادق کسی باشد که با سعی و عمل　　عشق خود را در چنین دوران نمایش می‌دهد

(لاهوتی، ١٣٥٨ش: ١٧٤)

– الذی یکشف عن حبّه بالسعی والعمل فی مثل هذه الأیام فهو مخلصٌ فی وطنه.

وبزعم لاهوتی أن الدم هو معیار الذود عن الوطن، الدم الذی إذا أریق ضئیلا لا یؤدی إلی الحریة ونجاة الوطن یجب أن یراق بقدر ینتهی إلی الاستشهاد، وسیضحی بکل غال ونفیس فی سبیل الذود عن الوطن:

میبنی به هر میهن　　وطن را من دوست دارم
اگر فرماید به من　　خون خود را ریخته‌ام
می‌بخشمش جان را هم　　با هر نعمت که در اوست

(المصدر نفسه: ٣٨٨)

– ألم تر أننی أحب الوطن
– فی کل بلد
– فإن یأمرنی بإراقة دمی
– فإنی أریقه
– وأهدیه روحی
– وکل نعمة فیه

ویجب علی المناضلین والمجاهدین فی سبیل الوطن، أن یعتقدوا بأن الوطن أولی

وأكرم من الجسم والروح:

اگر پرسند از من چیست از جان وبدن بهتر وطن بهتر، وطن بهتر، وطن بهتر

(المصدر نفسه: ٦٧٤)

– إن يسألونى ما أفضل من الروح والجسم؟ أقول: الوطن أفضل، الوطن أفضل، الوطن أفضل.

ويخاطب أبناء وطنه قائلاً: عليهم ألاّ يبيعوا عرض الوطن وشرفه خوفاً على النفس، ويشتروا العرض وحسن السمعة بالتضحية والرجولة:

مفروش آبروی وطن را ز ترس جان نام ابد به قیمت مردی خرید کن

(المصدر نفسه: ٨٨٨)

– لا تبع شرف الوطن خوفاً على النفس واشتر الذكر الخالد بثمن الرجولة والفتوة.

ويحرّض الأمهات ليأمرن أولادهن على القتال ومحاربة الأعداء:

رو پسر جانم ز دشمن رونگردان برنگرد گر نگردد قاتل از تیغ توغلتان برنگرد

توبه میدان رو من اینجا پاسبانی می‌کنم پیش من بی مژده اعدام دزدان برنگرد

(المصدر نفسه: ١٧٩)

– اذهب ولدى العزيز، لا تعرض عن العدو لا ترجع إلا أن يتمرغ القاتل على الأرض من سيفك.

– اذهب إلى ساحة الحرب، أنا أحرس هنا لا ترجع إلىّ دون أن تبشّرنى بإعدام اللصوص.

ويرى أنه يجب أن تفدى النفس لشهيد استشهد فى سبيل الوطن، ويغسل بالدم ويكفن بغبار الغربة:

جان به قربان شهیدی که پس از کشته شدن غسلش از خون بود وگرد غریبی کفنش

(المصدر نفسه: ٤٢٦)

– الروح فداء لشهيد، يغسل بالدم بعد استشهاد ويكفن بغبار الغربة.

### د– التداخل مع المستقبل

على الشعوب أن تطّلع وتستيقظ وتنهض ضد الظلم وتتحد وتصبح سيلاً عرماً يهدم

أساس الظلم والعدوان. تنتعش منافذ الأمل هذه فی شعر لاهوتی أيضاً، ويأمل الشاعر، رغم أنه كان يرى الشـعب عاجزاً وذليلاً، أن يقوم الشعب ويجتذّ جذور الاضطهاد. وهو على ثقة كاملة بخلاص الشعوب من الحقارة والظلم، ويرى تحريرها بيدها وأنها ستنال الحرية بقوة إرادتها وكفاحها:

كنون گر عاجزنـد و بنده وخوار ولی آيـد بـه زودی آن دم شـاد
كـه يابد خلق پـيروزی به پيكار هم از بيـداد اعيان گـردد آزاد
در اين من اعتمادی سخت دارم هـم از چنگ جهانگـيران جلاد

(المصدر نفسه:٥٤٠)

– رغم كونهم الآن عاجزين وعبيداً وأذلة ولكن ستأتی قريباً تلك اللحظة المفرحة.

– التی يصل فيها الشعب إلى النصر بالكفاح ويتحرّر من ظلم الأغنياء.

– ومن براثن المستعمرين الجلادين وأنا على ثقة شديدة بهذا الأمر.

ويدعو لاهوتی شـعب إيران أن يقوم ضد الحكام المسـتبدين وضد الخائنين الذين يطرقون باب الأجانب، وهنا ينتعش الوطن الجريح:

ميهن افتاده مـا باز جان خواهد گرفت در صف پيشين آزادی مكان خواهد گرفت
آن‌كه بـر ضد وطن كوبـد در بيگانگان ضرب سخت از چكش آهنگران خواهد گرفت

(المصدر نفسه: ١٢٣)

– وطننا الذليل ينتعش مرة أخرى وسيتصدر مقامه الأول للحرية.

– من يطرق باب الأجانب، ضد الوطن، سيجزى بضربة قاسية بمطرقة الحدادين.

وأمـا لاهوتی فهو على ثقة بأن الناس يوماً ما سـيقومون بما يجب فعله لدحر أنظمة الاسـتبداد وقمعها والتأسيس لأوطان حرة مستقلة تحفظ لمواطنيها حقهم فی الإحساس بالكبرياء والكرامة و ثم يقول إن دمار بناء الظلم والاستبداد، يتحقق على أيدی شعب مستعد صامد:

بنای ظلم واستبداد را زير و زبر كردن ز دسـت مردمان پردل و پادار می‌آيد

– إن تحطيم بناء الظلم والاستبداد وهدمه سيتم على يد شعب شجاع وصامد.

ويردف قائلاً وهو يخاطب نفسه ويعلم عاقبة الذين يشتبكون مع الحكومة:

سرت بربادخواهدرفت ازاين گفتار لاهوتى حذركن بوى خون زين طبع آتش بار مى آيد
(المصدر نفسه: ٩٠٦)

– يا لاهوتى، سيقطع هذا الكلام رأسك. احذر، فإن رائحة الدم تستشم من هذا الطبع الملتهب ناراً.

**ذ– استلهام الأمجاد والتذكير بماض مجيد**

كان لإيران، البلد اللذى استكان فى هذا العصر تحت وطأة الظالمين وعدوان الحاكمين، ماض مجيد. لا ينسى الشاعر هذا الماضى الباهر، وبالتنبيه إلى تلك الأيام الذهبية يدعو الشعب إلى التعمق والتفكر ليدرک مدى الظلم الذى قد أحاط ببلده وما به من الاستكانة والذل. فيذكر لاهوتى بمجد الإيرانيين فى زمن الساسانيين والأشكانيين. ويتساءل أبناء وطنه وهو يتألم من هذه الأوضاع التى تحيط بوطنه، ويذكرهم بماضيهم ويحرضهم على الانتفاضة ضد الظلم ويحذرهم من النوم العميق والغفلة التى طرأت عليه وما حدث لأجداده وأسلافه:

خيز اى ملت كه اين تنبلى وغفلت وترس شيوه دوده اشكانى وساسانى نيست
(المصدر نفسه: ٦٨٧)

– انهض أيها الشعب لأن هذا الكسل والغفلة والخوف لم يكن أسلوب الأسرتين الاشكانية والساسانية.

ويخاطب الشعب وهو يحرضه على الذود عن الوطن الذى هو مدفن أجداده الكرام، أمام خطر الأجانب:

نياكان شما مدفون در اين خاكند، اى مردم وطن را وارهانيد از خطر، با غيرتيد آخر
سم اسب اجانب بر سر آبايمان تا كى؟ برانيدش از اين كشور، اگر باهمتيد آخر
(المصدر نفسه: ٤٥١)

– أيها الشعب، أجدادكم مدفونون فى هذه الأرض، فخلصوا الوطن من الخطر، فإنكم ذوو غيرة.

– حتام يكون حافر فرس الأجانب على رؤوس آبائنا؟ اطردوهم من هذا البلد،

إن تكونوا ذوى همة.

وفى فترة حكم البهلويين على إيران ازداد الدور الأميركى فى السياسة الإيرانية واستطاع الأميركيون أن يأخذوا من ملک إيران الموالى لهم امتياز استغلال النفط فى الشمال. فنرى لاهوتى فى هذه الفترة يصرخ ويحذر بنى وطنه الذين هم من نسل كاوه الحداد عن غلبة الاستعمار الذى ظهر هذه المرة فى ثوب أميركا و عن إلغاء تراثهم على يد المستعمرين، وأيقظ أبناء وطنه على تبعية حكامهم ويقول:

اهرمن را بين، هريمن رو به ايران آمده — تا كند اين ملک را يكباره ويران آمده
آمده گيرد به دست خويش نان خلق را — نرخ نان، آرد به فرمان جسم وجان خلق را
آمده تا مفت چنگ خويش، نفت آرد بدست — آمده تا بر صف آزادگان آرد شكست
آمده ننگين كند هر نام و هر ناموس را — حاكم مردم نمايد دسته‌ای جاسوس را
آمده تا سنت ما را همه ملغى كند — رسم ايران را مطيع رسم امريكا كند
ای نژاد كاوه آهنگر ضحاک بند — دل به گفتار چنين دزدان آدم‌خور مبند

(المصدر نفسه: ٥٤٨)

- أنظر الشيطان أتى إلى إيران بوجه الشيطان أتى كى يدمر هذا الملک بأسره.
- أتى ليستولى على خبز الناس سعر الخبز يتحكم بأجسام الناس وأرواحهم.
- أتى ليحصل على النفط مجاناً أتى ليهزم صفوف الأحرار.
- أتى ليلطخ كل سمعة وشرف ويستولى على الناس فئة من الجواسيس.
- أتى ليلغى كل تراثنا ويخضع العادات الإيرانية للعادات الأميركية.
- يا نسل كاوه الحداد مقيد الضحاک لا تتعلق بكلام هؤلاء اللصوص آكلى لحوم البشر.

فها هو ذا الشاعر "أبوالقاسم لاهوتى" وتلک حياته ونماذج من شعره، ومهما يكن من أمر فإن لاهوتى شاعر كبير له فى تاريخ الأدب الحديث فى إيران والاتحاد السوفياتى صفحات حرية بالبحث والدراسة والتحقيق.

## النتائج

بعد استقراء لشعر "لاهوتى" ونتاجه الشعرى بعامة، يحسن بنا الآن أن نذكر بإجمال

أهم نتائج البحث:

۱- تتصدر الثورة والمقاومة، قائمة الموضوعات التی يتناولها لاهوتی، وتتجلی الثورة فی أشكالها المتنوعة تارة علی المحتل وتارة علی الحكام الجائرين وتارة علی الشعب النائم والغافل وعلی النفوس المسكونة بالموت فی أشعاره وإن المقاومة لديه تتمثل بالثورة المسلحة التی تقلع جذور الظلم والاضطهاد والتفاوت الطبقی والاستبداد، فهو لا يری سبيلا لتحقق الحرية ودمار بناء الظلم والاستبداد وفنائه، سوی الثورة الدامية والكفاح المسلح.

۲- نزعات لاهوتی الحزبية وخضوعه للحزب الشيوعی، وكذلک الروح العسكرية المستولية عليه وحضوره فی ساحات القتال، هما مجريان قد أدّتا إلی أن يصبح شعره شعراً دعائياً وشعر الثورة والدعوة إلی القتال، وانتماء لاهوتی إلی الحزب الشيوعی دفعه فی شعره إلی اتجاه خاص يتجلی فی نقده اللاذع للحكام الجائرين الذين يراهم مسؤولين أمام أوضاع مواطنيه المضطربة والظروف السيئة التی سيطرت علی إيران آنذاک وأيضا علی المستعمرين والمحتلين الذين جعلوا إيران ضحية أطماعهم وكان صريحاً فی تعبيره وقوياً فی حماسه.

۳- غايات الثورة والمقاومة فی أشعار لاهوتی تنطوی علی أهداف وغايات سامية منها: تنمية شعور أبناء الشعب واستنهاضهم ودعوتهم إلی دفع الذل والخنوع والاستسلام للضعف والفقر والجهل، ودعوة الحكام إلی إنفاذ الحكومة الدستورية والابتعاد عن الاستبداد، وكذلک قطع أيدی الأجانب من البلاد.

## المصادر والمراجع

نهج البلاغة. ترجمة عبدالمحمد آيتی. (۱۳۷۹ش-۲۰۰۰م). ط۷. تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامی.
آجودانی، ما شاء الله. (۱۳۸۵ش-۲۰۰٦م). يا مرگ يا تجدد. تهران: اختران.
آرين پور، يحيی. (۱۳۷٤ش-۱۹۹۵م). ازنيما تاروزگارما. ط۱. تهران: زوار.
انوشه، حسن. (۱۳۷۵ش-۱۹۹٦م). دانشنامه ادب فارسی در آسيای مركزی. تهران: دانشنامه.
حقيقت، عبدالرفيع. (۱۳۸۱ش-۲۰۰۲م). ط۱. شاعران بزرگ ايران از رودكی تا بهار. تهران: كومش.

الرحمن، منيب. (١٣٧٨ش-١٩٩٩م). شعر دوره مشروطه. ترجمة يعقوب آژند. تهران: روزگار.
سپانلو، محمد علی. (١٣٧٦ش-١٩٩٧م). شهر شعر لاهوتی. ط١.تهران: علمی.
علوی، بزرگ. (١٣٨٦ش-٢٠٠٧م). تاريخ تحول ادبيات جديد ايران. تهران: نگاه.
الكواكبی، عبدالرحمن. (٢٠٠٦م). ط٣. طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد. بيروت: دار النفائس.
لاهوتی، ابو القاسم. (١٣٥٨ش-١٩٧٩م). ط١. ديوان ابوالقاسم لاهوتی. تهران: امير كبير.
لنگرودی، شمس. (١٣٦٩ش-١٩٩٠م). «نخستين شاعر نوپرداز ايران». گردون. السنة الأولى. العدد ٤. صص ٢١-١٦.
محمدی، حسنعلی. (١٣٧٢ش-١٩٩٣م). از بهارتا شهريار. تهران: ارغوان.
مسلمانيان قبادی، رحيم. (١٣٨٠ش-٢٠٠١م). «اولين وآخرين پيغام». فصلنامه هستی. العدد ٨ و٩. صص ٦٥-٥٩.
مشيری، بهروز. (١٣٥٧ش-١٩٧٨م). كليات لاهوتی. تهران: توكا.